وظيفة البحث العلمي وأثره في نهضة الأمَّة

The function of scientific research and its impact
on the nation's renaissance

إعداد

أ. د. ضياء محمد محمود جاسم المشهداني

الجامعة العراقية كلية العلوم الإسلامية قسم الحديث

للمشاركة في مؤتمر البناء الحضاري والمعرفي
وأثره في رصانة الشخصية
العلمية التي تقيمه كلية العلوم الاسلامية - الجامعة العراقية

Prepared by: Prof. Dr. Diaa Mahmoud

Iraqi University, College of Islamic Sciences, Department of Hadith

To participate in the conference on cultural and cognitive construction
and its impact on the sobriety of the scientific personality,
which is held by the College of Islamic Sciences, Iraqi University

المقدمة

الحمد الله الذي جعل مظاهرَ الأسرارِ في اختيارِ نوادِرِ الأخبار، وبعث النُّفوسَ على استقصاء مقاصدِ الاعتبار، وصرفَ الهِمَمَ إلى استقراءِ ما يؤثرُ عن الأُممِ الماضية في القرون الخاليةِ من الآثار وأخبارِ العلماءِ، والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمدٍ خيرِ مَن نطقَ بالصواب، وأفضلُ مَن أُوتِيَ الحكمةَ وفصلَ الخطابِ، وتَمَّ بِمَقْدمهِ رَسمُ دائرةِ الرِّسالةِ والتشريع، فكان وما زال وسيبقى خاتم الأنبياءِ والمرسلين، وعلى آله الغرِّ الميامين وصحابتهِ أهلِ التقى والدين. أما بعدُ؛

فلا يخفى على ذوي البصائر السليمة، والأذهان المستقيمة أنَّ وظيفة التأليف في العلوم: هو مِفتاحُ أبوابِ الخير، وبدايةُ تسهيلِ صعوباتهِ المطلقة وكلما كان البحث والتأليف متخصصاً كان النفعُ أكبر، لتسهيل وصولِ الباحثين وطلبة العلم والقاصدين إلى ما يطلبُونه ،وان النقلة أو التحول الحضاري الكبير الذي نفذه المسلمون وتحققوا به عبر قرون التألق والعطاء إنما جلء ثمرة (للقلية) التي صاغها الإسلام ومكنها بتحولاته الخطيرة تلك:

١- النقلة التصورية الاعتقادية.

٢- النقلة المعرفية.

٣- النقلة المنهجية.

فقد استطاعت أن تؤدي دورها الشامل في تكوين وإغناء الحضارة الإسلامية.

ومِن خلال التتبع للحركة العلمية للباحثين المسلمين وما أثروه من أقوالٍ ومناهجٍ ومصنفاتٍ علمية في النقلات الثلاثة وغيرهِ من العلومِ الأخرى،كان وقعهُ كبيراً في بناء الحضارة المعرفية البحثية عند العلماء وطلابِ العلمِ ، مما أقبل هولآء وغيرِهم إلى حفظ تراثهم العلمي في شتى البقاع الإسلامية ،من خلال حفظها في المكتبات والتكايا والمدارس والبيوت وغير ذلك، صارت مناهجاً تدرس ومدارساً تتكونُ،ومدن تشيدُ وشرٌ يدفعُ بفضل العلم الذي أودعه ربنا تعالى لنبينا محمدٍ ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، ومن ثم علمه نبيُنَا ﷺ لصحابته وأهل بيته وآله الكرام، فواظبوا على هذا العلم الشريف،فتتحقَ لهم النفعُ الإلهي والنورُ النبوي فشعتْ عليهم بركاتُ ما تعلموه منه ﷺ، ثم قدر الله تعالى وأن يشاء ان ينتشر هذا العلم على معمورتهِ واختار أمصارا دون أمصارٍ وامصاراً نقلت العلم إلى أمصارٍ أخرى لتختصَ أمصارٌ بفضلِ التقدمِ والاسبقيةِ قال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى في فتحهِ (الأولية لها الأولوية) ثم من البلدان التي أراد الله تعالى أن تكون لها

الاسبقية في التقدم والفضل بلدنا العزيز العراق بلد العلم والعلماء والانبياء والاولياء فجاءه صحابتُه الكرام فاتحين للعقول والقلوب مانحين النورَ النبوي فتتحتْ البصرةُ بأمرِ أميرِ المؤمنين سيدِنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه (سنة ١٤هـ) ونزل فيها عددٌ من الصحابة الكرام وكان من أبرزهم سيدِنا أنس بن مالك رضي الله عنه ناقل العلم عن رسول الله وصحابته الكرام فدرس وعلم وفهمه ونور من بعده عدداً من العلماء عُرفوا بالتابعين من أبرزهم الحسن البصري وقتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧هـ) الذي قال :(لا يُحمل هذا الحديث عن صالح عن طالح ولا عن طالح عن صالح حتى يكون صالحٌ عن صالحٍ) ثم توالى نقل العلم والمعرفة والانوار النبوية إلى طلابهم فتأسست مدرسة البصرة الحديثية والفقهية والنحوية على يد الصحابة والتابعين وهلم جر إلى أن وصل علم الحديث إلى أمير المؤمنين في الحديث شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠هـ) ثم فتحت الكوفة (سنة ١٧هـ) ونزل فيها عددٌ من الصحابة من أبرزهم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أميراً ومعلماً لعلم رسول الله ﷺ ثم صارت عاصمة الدولة الإسلامية في خلافة أمير المؤمنين ويعسوب الموحدين سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه فصارت الكوفة حجة في العلم والمعرفة ثم الانبار والموصل وواسط ثم بنيت بغداد فنصب العلم الذي كان في هذه الأمصار العراقية كله في بغداد العلم والمعرفة وشع هذا النور معرفة مليئت الدنيا به فنزل هذا العلم على يد ابن سعد هو محمد بن سعد بن منيع ، الهاشمي بالولاء ، البصري ، البغدادي ، أبو عبد الله .لقب بابن سعد ، وب « كاتب الواقدي « .كان محدثا ، حافظا ، مؤرخا ، مشاركا في الأنساب .ولد ابن سعد بالبصرة سنة ١٦٨ هـ / ٧٨٤ : ٧٨٥ م ، وبها طلب العلم في صباه حيث كانت البصرة مركزا من مراكز العلم والحضارة . صاحب الطبقات الكبرى،ثم ابن الصلاح الشهرزوري العراقي وهكذا تلاحق العلم بين أفهام العلماء قديما وحديثا بين أهل مصر أرضِ الكنانةِ اعزها الله وبين أهلِ العراق حفظه الله تعالى وهذه البقاع التي حفظت العلم ومؤلفاته وبنيت الحضارة بسبب العلم والبحث العلمي، ولذا اسميت بحثي **(وظيفة البحث العلمي وأثره في نهضة الأمة).**

واقتضت طبيعة الدراسة أن يقسم البحث الى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: لوازم ومسؤولية شخصية الباحث العلمي وأثرها في نهضة الأمة.

المبحث الثاني: ضوابط وظيفة البحث العلمي وأثره في نهضة الأمة.

المبحث الثالث: ثمار وظيفة البحث العلمي وأثرها في نهضة الأمة.

وبعد هذه الرحلة مع هذا البحث، كانت الخاتمة فذكرت فيها أهم ما توصلت إليه. وجعلت فيها توصيات للعاملين في مجال التعليم ومقترحات لهم.

وإني لأرجو التوفيق في هذا البحث، الذي تأتي أهميته من الظروف القاسية التي يمر بها العراق العزيز خصوصاً والأمة العربية والإسلامية عموماً، والتي تحتم علينا تحمل المسؤولية والشعور بها. وتنشئة الأجيال عليها. وإن اعترى هذا البحث نقصٌ أو زلل فإن الكمال لله وحده ولكتابه العزيز. والله الكريم أسأل أن يتقبله بقبول حسن إنه نعم المؤملُ.

بـغـدادُ إنَّ الـجُـرحَ قـد أَدْمَـانـا والـعـلـمُ فـي أكـنَـافِـهَـا أَزْمَـانَـا
قُـومِـيْ فَـدَاوِي جُـرحـنَـا إِكْـرَامَـا يَـا قِـبْـلَـةً قَـدْ أَنْـتَـجَـتْ أَعْلامَـا

الملخص

مِن خلال التتبع للحركة العلمية للباحثين المسلمين وما أثروه من أقوالٍ ومناهجٍ ومصنفاتٍ علمية في النقلات الثلاثة وغيرهِ من العلومِ الأخرى،كان وقعهُ كبيراً في بناء الحضارة المعرفية البحثية عند العلماء وطلابِ العلمِ ، مما أقبل هولآء وغيرِهم إلى حفظ تراثهم العلمي في شتى البقاع الإسلامية ،من خلال حفظها في المكتبات والتكايا والمدارس والبيوت وغير ذلك، صارت مناهجاً تدرس ومدارساً تتكونُ،ومدن تشيدُ وشرٌ يدفعُ بفضل العلم الذي أودعه ربنا تعالى لنبينا محمدٍ ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، ومن ثم علمه نبيُنَا ﷺ لصحابته وأهل بيته وآله الكرام، فواظبوا على هذا العلم الشريف، فتتحقَ لهم النفعُ الإلهي والنورُ النبوي فشعتْ عليهم بركاتُ ما تعلموه منه ﷺ، ثم قدر الله تعالى وأن يشاء ان ينتشر هذا العلم على معمورتهِ واختار أمصارا دون أمصارٍ وامصاراً نقلت العلم إلى أمصارٍ أخرى لتختصَ أمصارٌ بفضلِ التقدمِ والاسبقيةِ قال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى في فتحهِ (الأولية لها الأولوية) ثم من البلدان التي أراد الله تعالى أن تكون لها الاسبقية في التقدم والفضل بلدنا العزيز العراق بلد العلم والعلماء والانبياء والاولياء، فصارت الكوفة حجة في العلم والمعرفة ثم الانبار والموصل وواسط ثم بنيت بغداد فنصب العلم الذي كان في هذه الأمصار العراقية كله في بغداد العلم والمعرفة وشع هذا النور معرفة مليئت الدنيا به وهكذا تلاحق العلم بين أفهام العلماء قديما وحديثا بين أهل مصر أرضِ الكنانةِ اعزها الله وبين أهلِ العراق حفظه الله تعالى وهذه البقاع التي حفظت العلم ومؤلفاته وبنيت الحضارة بسبب العلم والبحث العلمي، ولذا اسميت بحثي **(وظيفة البحث العلمي وأثره في نهضة الأمة).**

التمهيد

لما كانت السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع في الإسلام، وهي بيان القرآن الكريم، كما قال جل شأنه ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(١). فقد حرص الرسول ﷺ على تبليغ سنته لأصحابه كي يحفظوها وينشروها لمن لم يسمعها منهم، ولتكون لبنة مهمة في البناء الحضاري المعرفي العلمي لمن يأتي بعدهم من أجيال الأمة المسلمة، فهم الواسطة الأمينة بين الرسول ﷺ وبين أمته، وقد عنوا عناية كبيرة لحضور مجالسه ﷺ في مسجده الشريف الذي بمثابة دار للعلم والتربية والفتوى والقضاء. ومما دل على أنه ﷺ. كانت له مجالس ما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاء أعرابي فقال متى الساعة؟.... الخ(٢).

وقد خصص لهم أياماً معلومة يلتقيهم فيها ليفقههم في أمور دينهم كي لا ينفروا، فقد روى البخاري بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة كراهية السآمة علينا(٣).

ومعنى يتخولنا: أنه كان يراعي الأوقات في تذكير الصحابة (رضي الله عنهم) ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا يملوا(٤).

علماً أنه لم تكن للرسول ﷺ مدرسة مشيدة يلتقي أصحابه فيها(٥).

بمعنى المدرسة اليوم بل كانت له مجالس خاصة، يتخول فيها أصحابه (رضي الله عنهم)، بالموعظة: فإذا جلس إليه أصحابه (رضي الله عنهم) حِلقَاً(٦) ونعني بالمدرسة النبوية الفكر النبوية في تشيد البناء الحضاري المعرفي العلمي.

---

(١) سورة النحل الآية: ٤٤.

(٢) ينظر: صحيح البخاري بشرح فتح الباري: ١/١٨٨.

(٣) المصدر نفسه: ١/١٤، رقم الحديث ٦٨.

(٤) فتح الباري: ١/٢١٥.

(٥) ينظر:الحديث والمحدثون: ٥٠.

(٦) ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ١/١٣٢.

ولم يكن يعقد مجلساً عاماً للتعليم يجمع فيه أكثر الصحابة إلا نادراً كاجتماعهم في صلاة الجمعة والعيدين وحجة الوداع[1]. كما كانوا يحضرون أولادهم مجالس النبي ﷺ لسماع حديثه والتأدب بأدبه. كما كانوا يتلقون السنة عنه، حيثما التقوا به في حلهم وترحالهم وفي سلمهم وحربهم. إذ لم يكن ثمة شيء يحجبه عنهم. فهو المعلم، والمربي والقائد، والقاضي، والقدوة لهم.

وقد شجع النبي ﷺ أصحابه على نقل سنته عن طريق الرواية شفاهاً ولاسيما في بداية الدعوة، إذ صرف جهودهم لحفظ القرآن عن طريقين:

الطريق الأول: حفظه في الصدور، وهو المعول عليه في حفظ القرآن، لأن غالبية الصحابة كانوا أميين يعتمدون على قابلياتهم في حفظ المرويات، بما لم يكن لأمة مثله، أو قريب منه لأنهم مطبوعون على قوة الحافظة.

الطريق الثاني: حفظه في السطور، من أجل أن يتعاضد السطور مع المحفوظ. وبقيت السنة تُنقل في غالبها عن طريق الرواية الشفهية، ومما سهل نقلها أنها التطبيق العملي للقرآن الكريم، وهي ليست معجزة في لفظها فيصح نقلها بالمعنى.

وقد تظافرت عدّة عوامل أو وسائل للصحابة مكنتهم أن يحفظوا العلم كما صدر من الرسول ﷺ. ثم نقلوه سليما نقيا لمن بعدهم بأمانة لا نظير لها، فكان سببا في البناء الحضاري المعرفي العلمي الذي اسست قواعده المدرسة النبوية.

(١) ينظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للسباعي: ٦٢، والحديث والمحدثون: ٥١.

summary:

Since the Prophetic Sunnah is the second source of legislation in Islam, and it is the explanation of the Holy Qur'an, as He, may He be glorified and exalted, said: And We have sent down to you the Remembrance so that you may make clear to the people what has been revealed to them, and that they may reflect. The Messenger (may God bless him and grant him peace) was keen to convey his Sunnah to his companions so that they could memorize it and spread it to those who had not heard it, and so that it would be an important building block in the scientific cultural building of the generations of the Muslim nation who come after them. They were the trustworthy mediator between the Messenger (may God bless him and grant him peace) and his nation, and they paid great attention to the presence of Sitting with him (r) in his Noble Mosque, which serves as a house of knowledge, education, fatwa, and judiciary. What indicates that it is (r). He had gatherings that Al-Bukhari narrated with his chain of transmission on the authority of Abu Hurairah, who said: While the Prophet (may God bless him and grant him peace) was in a gathering talking to the people, a Bedouin came and said, "When is the time?"…. etc.

He allocated specific days for them to meet with them to give them understanding of the matters of their religion so that they would not alienate them. Al-Bukhari narrated with his chain of transmission on the authority of Ibn Masoud, may God bless him and grant him peace, who said: The Prophet (may God bless him and grant him peace) used to give us the authority to preach to us the hatred of those who are bored with us.

A meaning that confuses us: that he used to take into account the times when reminding the Companions and did not do that every day so that they would not get bored.

Note that the Messenger (may God bless him and grant him peace) did not have a built school in which his companions could meet.

In the sense of the school today. Rather, he had private gatherings in which his companions would be authorized to give the sermon. If his companions sat with him in circles, and by the prophetic school we mean the prophetic thought in building the

cultural, cognitive, and scientific building.

He did not hold a general education council in which most of the Companions gathered except rarely, such as when they gathered for Friday prayers, the two Eids, and the Farewell Pilgrimage. They also used to bring their children to the gatherings of the Prophet (may God bless him and grant him peace) to hear his speech and behave according to his manners. They also received the Sunnah from him wherever they met him, in their homes and travels, in their peace and war. Because there was nothing to hide from them. He is the teacher, educator, leader, judge, and role model for them.

The Prophet (may God bless him and grant him peace) encouraged his companions to transmit his Sunnah through narration orally, especially at the beginning of the call, as he directed their efforts to memorize the Qur'an in two ways:

The first way: memorizing it in the chests, and it is the one relied upon in memorizing the Qur'an, because the majority of the companions were illiterate and relied on their ability to memorize narrations, as no nation had anything like it, or close to it, because they were imprinted with the power of memorization.

The second way: memorizing it in lines, in order for the lines to harmonize with what is memorized. The Sunnah remained transmitted mostly through oral narration, and what facilitated its transmission was that it was the practical application of the Holy Qur'an, and it is not a miracle in its pronunciation, so it is valid to transmit it in meaning.

Several factors or means of the Companions combined to enable them to preserve knowledge, as was issued by the Messenger (may God bless him and grant him peace).

Then they transmitted it intact and pure to those who came after them with unparalleled honesty, and it was a foundation for the construction of scientific cultural civilization, the foundations of which were established by the Prophetic school.

العوامل والوسائل:

- الحمية الدينية، المتمثلة بحب الصحابة العظيم لرسول الله ﷺ إذ قدموا حبه على حبهم لأنفسهم. ولم يُعد حبه إلا حب الله سبحانه. ومن أحب إنساناً تفانى من أجله، فكيف إذا كان المحبوب رسول الله ﷺ، الذي هداهم الله به من ظلمات الجاهلية إلى نور الحق والعلم إذ أنقذهم الله به من الشرك إلى التوحيد الخالص، ومن الظلم إلى العدالة، ومن العبودية إلى التحرر، ومن الفساد إلى معالي الأخلاق، ومن الفرقة والتنازع إلى الوحدة والوئام فكان ﷺ الرحمة المهداة من الله لهم وللإنسانية جمعاء. ولما علم الصحابة مكانة النبي ﷺ في المدينة، وما يجب عليهم تجاهه آزروه، وانكبوا لاستماع ما يبلغهم به من الوحي، بنوعيه، القرآن- والسنة بشوق وتفان لحفظهما والعمل بما فيهما والدعوة إليهما. فنشطوا لحفظهما ونشرهما يدفعهم إخلاصهم وإراداتهم القوية. فأصبحت قلوبهم أوعية لحفظ آيات الذكر الحكيم وسنة النبي ﷺ(١).

- الاستعداد الفطري، المتمثل بقوة الحافظة، ونشاط الذاكرة، وسيلان الأذهان في حفظهم المرويات بما لم تحظ به أمة من الأمم. قال ابن الأثير: (كان اعتماد الصحابة أولاً على الحفظ والضبط في القلوب والخواطر غير ملتفتين إلى ما يكتبونه ولا معولين على ما يسطرونه محافظة على هذا العلم، كحفظ كتاب الله عز وجل)(٢). ذلك أن جُلّ الصحابة كانوا عَرباً خُلصّاً، وهم قد غلبت عليهم الأُمية، كما وصفهم الله تعالى بذلك في قوله تعالى ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ**﴾(٣). واستخدام النبي ﷺ لوسائل عديدة في تعليم الصحابة مما أسهم في حفظ الدين وتطور البحث العلمي الذي ساهم مساهمة فعالة في البناء الحضاري المعرفي للأمة ومن الوسائل تكرار الحديث استخدام وسائل توضيح وغيرها.

(١) ينظر: الحديث والمحدثون: ٤٦-٥٠ بتصرف.
(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول (r) لأبن الأثير الجزري: ١/٤٠.
(٣) سورة الجمعة الآية: ٢.

المبحث الأول
لوازم ومسؤولية شخصية الباحث العلمي وأثرها في نهضة الأمة

المطلب الأول: الإلزام والالتزام الشرعي والوضعي لشخصية الباحث العلمي.

المسؤولية من حيث كونها إلزام والتزام على نوعين: مسؤولية شرعية ومسؤولية وضعية.

أما الأولى: فهي كل ما في الشريعة الإسلامية من أخلاق ومبادئ وقيم وعبادات ومعاملات ونظم على وجه التكليف والإلزام، وبالتالي فان ما قرره القرآن الكريم من حقوق وواجبات والسنة المطهرة الصحيحة وغيرهما من مصادر الشرعية الإسلامية مما اكتسب صفة الإلزام الشرعي، فهو داخل ضمن المسؤولية الشرعية للباحث وكذلك كل ما عرف عرفاً وما اتخذ عادة وسلوكاً او شرط كشرط مما لا يخالف نصاً صريحاً من كتاب الله- عز وجل- أو سنة نبيه، أو ما علم من الدين بالضرورة.

وعليه فان الكل مسؤول والكل ملزم، وكما قال عليه الصلاة والسلام: (كلكم راع ومسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهل وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته)[1].

أما المسؤولية القانونية: فهي تلك القوانين والشروط والالتزامات التي سنها البشر وخطتها أناملهم مما لا علاقة له بالدين بل بالدنيا وفرضت بسيف السلطان على الناس، وحكم به عنوة وقسراً أو بناء على المصالح الدنيوية مما استنتجته العقول وبشرته من التجارب وأيام الدهر.

والذي يخص بحثنا وموضوعنا هو النوع الأول الذي يتعلق به شأن الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة ودور الباحث العلمي وبحثه في ترسيخ القيم للفرد والمجتمع من خلال مسؤوليته.

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[2].

فهذا النوع له علاقة وثيقة وأثر كبير على الإنسان ومستقبله الدنيوي والاخروي، ثم إن هذه المسؤولية الشرعية على قسمين:

(١) البخاري (١/٢٨٤-٢٨٥)، ومسلم (٣/١٤٩).

(٢) سورة طه: الآيتان ١٢٣-١٢٤.

الأول: مسؤولية خاصة ذاتية.

الثاني: مسؤولية عامة جماعية.

وبدايةً أقول: إن عنوان المسؤولية يشعرك من أول وهلة بأمرين متلازمين لا ينفك أحدهما عن الأخر، وهو معنى الإلزام ومعنى الجزاء.

وهذين الأمرين وكأنهما ركنان في معنى المسؤولية، فالمعنى الأول جامعٌ لكل الأوصاف والألفاظ المشتركة في أداء معنى المسؤولية من (الغرض، الواجب، والأمانة...)، فكلها تعنى الالتزام في قدر كبير مشترك بينها سواء كان الملزم شرعاً أم عرفاً أم قانوناً.

والمعنى الثاني يعطي العنوان خصوصية إسلامية من حيث كون الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة لمن يقوم بما هو مسؤول عنه على أكمل صورة أو من لا يكلف نفسه حتى بمعرفة ما هو ملقى على عاتقه ومسؤول عنه.

وفي القرآن الكريم إشارة إلى هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾[1]. ففي الآية الكريمة معنى الإلزام ومعنى الجزاء.

وقد أشار إلى ذلك الأستاذ المرحوم محمد عبد الله دراز وعدّ ان فكرة الإلزام تستلزم أمرين هما المسؤولية والجزاء فقال: (يرتبط بفكرة الإلزام ناتجان، يستلزم أحدهما الآخر بدوره، ويؤيده، ويدعمه، هما: فكرة المسؤولية، وفكرة الجزاء)، ثم يقول: (فالإلزام بلا مسؤولية يعني القول بوجود إلزام بلا فرد ملزم، وليس بأقل استحالة من ذلك ان يفترض كائناً ملزماً مسؤولاً، بدون ان تجد هذه الصفات ترجمتها وتحققها في «جزاء» مناسب، فان معنى ذلك تعرية الكلمات من معانيها)[2]. وليس من ضير أن يكون الإلزام قسماً أو قسيماً[3]* ما دام المعنى العام للمسؤولية يشملها.

المطلب الثاني: قيادة العقلانية:

وفي هذا المبحث وددتُ الإشارة إلى تلك القوى المتحكمة بأفعال العبد وردود فعله، وتصرفاته، وهي إن صح التعبير عنها قوى العقلانية وقوى العاطفة.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٤.

(٢) دستور الأخلاق في القرآن: دراسة مقارنة للاخلاق النظرية في القرآن، د. محمد عبد الله دراز، تعريب وتحقيق وتعليق: د. عبد الصبور شاهين، مراجعة: د. السيد محمد بدوي، مؤسسة الرسالة، للطباعة والنشر والتوزيع، ط١٠، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص١٣٦.

(٣) إن قلت بان المسؤولية لها أقسام هي الإلزام والجزاء وبالتالي الإلزام هنا قسم المسؤولية وقسيم الجزاء...

فالمسؤول لابد وأن يكون واقعاً تحت تأثيرها في كل تصرفاته وأفعاله وقراراته وليس من نقص في شخصية المسؤول أن يكون عاطفياً، لكن على أن لا تغلب العاطفة العقلانيةَ ومنطقَ العقل فيه.

ومن هنا كان الرجال قوّامين على النساء من حيث العمومُ؛ لغلبة العاطفة على العقل عند النساء وقِلّة ذلك عند الرِّجال.

وهذه الميزة، هي من قبيل الفضل والكرم الألهي إذ يقول القرآن: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً**﴾(١).

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ أشار إلى تلك الميزة فيمن يروم قيادة نفسه وغيره بمسؤولية وجدّيّة فقال: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين))(٢).

وفي رواية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله: لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال: لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال عمر: فانّك الآن والله أحب إلي من نفسي. فقال: الآن يا عمر))(٣).

ففي ذلك إشارةٌ نبويةٌ كريمة إلى أهمية العقلانية في القيادة والمسؤولية ذاك أن هذا الحبّ: «هو الحبّ العقلي الذي يقتضي إيثار وتفضيل الأمور وأَولوياتها بناءً على ما يراه العقل السليم راجحاً مفضّلاً، وإن كان ثمة عائق نفسي أو عاطفي يصعب على النفس تقبله كالدواء المر مع المريض الذي لا تهوى نفسه شِرَبه والانتظام والالتزام به لان العقل أقر نفعه وفائدته»(٤).

وينقل الإمام ابن حجر (رحمه الله) عند شرح الحديث فيقول: (فيه تلميح إلى قضية النفس الأمارة والمطمئّنة، فإنّ مَن رجّح جانب المطمئنة كان حبه للنبي ﷺ راجحاً، ومَن رجّح جانب الأَمّارة كان حكمُهُ بالعكس)(٥).

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٤.

(٢) الحديث: اخرجه البخاري ١٠/١، ومسلم ٤٩/١، والنسائي ١١٥/٨، في رواية أنس ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)) فتح للباري، ٨٠/١-٨١.

(٣) الحديث: أخرجه البخاري ١٠/١.

(٤) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان ٨١/١.

(٥) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٨١/١.

إن التأكيد النبوي على الفاروق عمر فيه تأكيد وإشارة واضحةٌ إلى قيادة العقلانية للعاطفة وليس العكس، وهذا أمر لا يجوز غيابه عند المسؤول، أينما كان،وهذا دليل واضح على أن الباحث يحتاج إلى هذه الشخصية في بحثة من أجل البناء الحضاري المعرفي.

المطلب الثالث: مراعاة الأصلح

والمستقرئ والمتتبع للسيرة النبوية، والخلافة الراشدة، يجد هذا المعنى مطبَقاً فيمن يولى.

فقد عهد الرسول الكريم ﷺ إلى خالد بن الوليد أمر قيادة السرية منذ إسلامه، وقال: (إن خالداً سيف سلّه الله على المشركين)(١).

ولكن قد كان في سيرة خالد ما لا يرضاه رسول الله ﷺ، حتى أنه ﷺ، رفع يديه إلى السماء مرة وقال: (اللهم إني ابرأ إليك مما فعل خالد)(٢)، وكان ذلك يوم قتل قوم جذيمة، وسلب أموالهم ولم يكن أمره هذا مبني على أمر قطعي بل على بعض الشبهة، والإسلام لا يجيز ذلك، فقام رسول الله ﷺ فرد عليهم أموالهم وودى قتلاهم، ولكن بقي خالد مقدما في الامارة، والقيادة لجيش الإسلام.

ومراعاة وصف الأصلح من حيث أثره على الآخرين، ومن حيث وجوده في قيادة الأمة مع من يقودها في مجالاتها الأخرى؛ لتحقيق تلك الموازنة في ذلك المقام.

لذا يرى ابن تيمية رحمه الله(٣): انه اذا كان خلف الأمير يميل نحو اللين ان يكون نائبه بعكسه، وذكر ان الصديق رضي الله عنه، وهو صاحب القلب الكبير والارادة، والبكاء، وأرحم الأمة بالأمة.

كان قد استعمل خالداً القوي الجلد الشجاع، سيف الله، في حروب أهل الردّة وقد كان الأمر مع الخليفة عمر- رضي الله عنهم أجمعين- مختلفاً من حيث الموازنة.

إذ أراد الفاروق عمر، استعمال أبي عبيدة الجراح، والذي عرف بلينه ورحمته بدلاً عن خالد، حتى لا يغلب على أمر الحكم الشدة والقوة بل تكون ثمة موازنة ضرورية لعدالة الحكم واستمرار المسير.

---

(١) الحديث: أخرجه أحمد ٨/١، والحاكم (٢٩٨/٣).

(٢) الحديث: أخرجه أحمد (١٥١/٢)، البخاري (٤٣٣٩) و (٧١٨٩)، والنسائي (٢٣٧/٨).

(٣) ينظر: السياسية الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، أحمد بن عبد الحليم عبد السلام بن تيمية تحقيق: عصام فارس الحريتاني، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص٢٩.

والصفات هنا منها ما هو فطري ومنها ما هو مكتسب ومنها ما هو عقلي ومنها ما هو عملي.

وأهم الصفات: الأمانة، القوة، الشجاعة، الحلم، الأناة، التوكل، ومنها الفهم والاستيعاب، والفراسة والدقة.

ومنها الشعور بالمسؤولية، والنظام، والتضحية، والايثار، والبلاغة وحسن الخطاب، وعدم المساومة.

وثمة شروط في المسؤول لا ينظر إليها من حيث تعلقها بالذات بقدر تعلقها بالآخرين، ومن هذه الصفات صفة (الأصلح)، وفي ذلك يقول النبي[١] ﷺ: (من ولي في أمر المسلمين شيئا، فولّى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله)، وفعله ﷺ، يوم فتح مكة مع مفاتيح الكعبة إذ طلبها منه العباس، ليجمع له بين السقاية والسدانة، فأبى الرسول إلا إن يؤدي الأمانة إلى أهلها، فدفعها إلى عثمان؛ إلى بني شيبة ،وانزل الله تعالى قوله: ﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾[٢].

ووصف الأصلح بالتأكيد يعني الكفاءة والكفاية التي تتمع بها ذات المسؤول من قوة وأمانة واخلاص وورع، الخ.

ويوم يتعارض أو يكون في الأمر اكثر من شخص تتوفر فيه الصفات المرضية، فاننا نجعل مقياس تقديم زيد على عمرو وصف الاصلح، من حيث الحال والمقام، الذي هو فيه، لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة، والآخر أعظم قوة، قدّم أنفعها لتلك الولاية، وأقلها ضرراً، فيقدم في إمارة الحروب، الرجل القويّ الشجاع، وإن كان فجورا فيها على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أمينا)[٣].

ويعلل ذلك الاختيار الإمام أحمد -رحمه الله- فيقول: (أما الفاجر القوي، فقوَته للمسلمين، وفجوره على نفسه، وأما الصالح الضعيف، فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين، فيغزى

---

(١) الحديث أخرجه الحاكم ٩٢/٤، عن ابن عباس بنحوه ولفظه (من قلد رجلاً عملاً على عصابة وهو يجد في تلك العصابة أرضى منه، فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين).

(٢) سورة النساء: الآيات ٥٨-٥٩.

(٣) ينظر: السياسية الشرعية، ص٢٧.

مع القوي الفاجر)[١]، وهو يشير إلى معنى الحديث الشريف: (ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)، وروي: (بأقوام لاخلاق لهم)[٢].

أما وجود من يجمع بين الأمرين، فهذا هو من يبعثه الله تعالى على رأس كل مائة سنة؛ ليحيي أمر هذا الدين ويجدد صرحه، ولقلة هؤلاء كان الفاروق رضي الله عنه يقول: (اللهم أشكو إليك جلد الفاجر وضعف الثقة)[٣].

المطلب الرابع: المسؤولية بحدود المستطاع:

فإنّه (جلّ جلاله) قد حدّد المسؤولية والتكليف بحدود الاستطاعة البشرية إذا توفّرت فيها شروط التكليف، وحصرها في الطّاقة التي زوّد بها العبد، وذلك كرماً وهبة منه سبحانه، فهو الخالق العظيم اللّطيف الحكيم، قال تعالى: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾[٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا**﴾[٥].

وإذا كان مقدار التكليف بمقدار الِهبة الرَّبَّانية للعبد، فإنّ المسؤولياتِ بلا شك؛ تتفاوت على وفق ما أَنعم به المولى، ووفقاً لما يليق بعدالة السماء.

ومن هنا فإنّ مسؤولية الفقير ليست كمسؤولية الغني، وكذا مسؤولية ذي العذر كالمريض، أو الأعرج، أو الأعمى، ومسؤولية من أنعم الله عليه بالصّحة والسلامة مِن كلّ هذا وذاك، في ميادين الحياة ومتطلباتها الدينية والدنيوية من جهاد ورباط وعمل.

كما أنّ التّفاوت بين من نشأ في بيئة مهيأة الظروف والأسباب؛ بأن يتعلم ويتفّهم ماله وما عليه تجاه دينه وخالقه، وتجاه الآخرين، يختلف عن ذاك الذي نشأ وترعرع في بيئة تفتقر إلى كلّ ذلك، وكذا الفرق بين مسؤولية الموّسع والمقتر في ميدان الأنفاق والبذل، وهذا التفاوت سُنّةُ الله تعالى في خلقه[٦].

---

(١) المصدر نفسه: ص٢٧.

(٢) الحديث: اخرجه أحمد ٣٠٩/٢، والبخاري، (٣٠٦٢)، (٤٢٠٣)، (٦٦٠٦)، ومسلم، (١١١)، والدارمي ٢٤٠/٢-٢٤١.

(٣) ينظر:

(٤) سورة البقرة: من الآية ٢٨٦.

(٥) سورة الطلاق: من الآية ٦٥.

(٦) ينظر: السنن الإلهية، د.عبد الكريم زيدان، ص٨٥، ٢٧٢.

وفي القرآن الكريم نصوص كثيرة تحمل هذا المعنى، وتوضّحه للعباد، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ**﴾(١).

أمّا عن البيئة المساعدة والمشجّعة على الخير والمعروف، فيقول تعالى: ﴿**يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً**﴾(٢).

فإن مَن تربّى في بيت النّبوة، أو عاش فيه، ليس كغيره، ذاك أَنّ ما يُتلى فيه من الذّكر والآيات وما يُنظر فيه من الرّحمة والبركات والأنوار والمعجزات، هو الذي رفع درجة المسؤولية إلى هذا الحدّ والمقدار.

وإنّ العدل الإلهي في الآية الكريمة بيّنٌ صريح، فكما جعل العذابَ والحساب ضعفين لتوفّر أسباب الهدي والتّقوى، إن هنَّ أتين بفاحشة –حاشاهنّ- -ورضي الله عنهن- أجمعين فكذلك من العدل الرّباني أَن يكون لهنّ الأَجر مرّتين والوعدُ بالرّزق الكريم.

وكذلك أشار القرآن إلى تفاوت المسؤولية على وفق تفاوت النعم والكرم الإلهي على العباد في باب المسؤولية بالنّفقة، إذ يقول جلّ وعلا: ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً**﴾(٣).

وثمة وقفه نشير بها إلى أهمية ذلك التفاوت في تحقيق الامتحان الرّبّاني المشمول بعدله سبحانه وتعالى، إذ أن الفقير الذي لم يُبتلَ بالمال ومسؤوليته تراه مبتلى بالقيام بنعم الله الكبيرة الأخرى عليه، كالصّحة والفراغ والبيئة وغير ذلك من النعم، لذا كان من حكمته جلّ جلاله أن جعل أَساليب الامتحان ومظاهره متنوعة.

يقول د.عبد الرحمن حسن حنبكة: ((ولله حكمته العظيمة في شأن التّفاوت في الهبات والخصائص، منها أن يتمّ نظام الكون بهذا الإبداع الرائع الذي هو عليه، وأن تتكامل عناصره وأجزاؤِهِ المختلفة تكاملاً لا نقص فيه ولا خلل، وأن يكون على أَمثل صورة يتم فيها تحقيق ظروف الامتحان الربّاني))(٤). وهذا التفاوت يتناغم وينسجم مع ما بدأنا به الموضوع، وهو أَنّ العباد مكلّفون ومسؤولون كلّ حسب طاقته وسعته، وبالتالي كان من الرّحمة والعدالة الإلهية تفاوت وتنوع تلك المسؤوليات والابتلاءات بتفاوت الوسع والطاقات.

---

(١) سورة النور: الآية ٦٢.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٠.

(٣) سورة الطلاق: الآية ٧.

(٤) العقيدة الإسلامية وأسسها، ص٥١٤.

المبحث الثاني
ضوابط وظيفة البحث العلمي وأثره في نهضة الأمة

المطلب الأول: المثالية والواقعية في البحث العلمي:

وتتجلى في قصة نفر من المسلمين على عهد رسول الله ﷺ إستقلُّوا الطَّاعة، والعبادة، فقال أحدهم: أصوم، ولا أفطر، وقال الأخر: أقوم فلا أنام، وقال الثالث: لا أنكح النساء- ظنّاً أنّ هذا هو الشكل الأمثل للقيام بحق المسؤولية الدينية الذاتية، وصل خبرهم للرسول ﷺ فجمع الناس وقال: ((أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أَما والله إنَي لأخشاكم لله، وأَتقاكم له ؛ لكنّي أصوم وأفطر، وأصلّي وأرقد، وأتزوّج النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس مِنّي))

ونصّ الحديث: ((جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلمّا أُخبروا، كأنهّم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غُفِر له ما تقدّم من ذنبّه وما تأَخّر؟ فقال أحدهم: أمّا أنا، فأنّي أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدَّهر ولا أُفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النّساء فلا أتزوّج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الّذين قلتم كذا وكذا؟ أَما والله إنّي لأخشاكم لله، وأتقاكم لله، لكنّي أَصوم وأُفطِر، وأُصلي وأَرقد، وأتزوّج النساء فمن رغب عن سنتي فليس منّي))[1]. وهكذا فإن الحديث الشريف يوضّح حدود المسؤولية الفردية، وما هو مثالي وواقعي في آن واحد، فإنّ الواقعية في السلوك، والمثالية في السعي ببلوغ أفضل صورة يكون عليها سلوك، فَهُما وجهان لحقيقة واحدة.

وأَهم ما يُذكر هنا: أن نعلم بأن النبي ﷺ هو الأصل والقاعدة والأسوة والقدوة والمثل الأعلى الذي تقاس على فعله الأفعال وعلى قوله الأقوال، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾[2].

فأنّ من كان منشغلاً بالله ورضاه وبأعداد النفس للسؤال فإنّ عليه أن يفهم أن طريقه ومنطلقه وقدوته هو رسول الله ﷺ.

وفي الآية إشارة إلى صفات من قامت به المسؤولية وبانت عليه أثارها. فهو يرجو ما عند ربّه من نعيم دائم، منشغل بتلك الدار التي لا تدخل إلاّ بعد السؤال عن أمور كثيرة ونعم لا تحصى في

(١) الحديث، أخرجه البخاري، ٢/٧.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢٢.

الدنيا، وأن هذا العبد كان دائم الشعور بالمسؤولية في كل أحواله وأفعاله بدليل أنه من الذّاكرين الله كثيراً.

وبعدما تقدم يمكن وضع بعض النّقاط في حدود المسؤولية وضوابطها:

١. بشرية العباد، يلزم منها بشرية المسؤولية.

٢. «أن هذا الدين متين، ولن يشاد الدين أحداً إلاّ غلبه»(١).

٣. ان الله تعالى قد جعل للعبد في شرعه رخصاً وعزائم، وهي تناسب واقعية الإنسان، وما بداخله من طموح.

٤. عدم التكلّف ما وجد الأيسر، كان ﷺ يختار من الأمور أيسرها، تقول السيدة عائشة- رضي الله عنها-: (ما خير رسول الله بين امرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن أثماً كان أبعد الناس عنه...)(٢)، وقوله ﷺ: (يسرّوا ولا تعسّروا)(٣)، وهذا يعين على صدور العبادة والقيام بالمسؤولية عن طيب نفس وانشراح صدر واستمرار بالعمل.

٥. الوقوف والتمسك بالقدوة والأسوة ﷺ في الأفعال والأقوال والأحوال والأخلاق، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾(٤).

ولابدّ من الوقوف قليلاً عند الرخصة والعزيمة، والكلام عن تلك القاعدة الأُصولية: «الحرج مرفوعٌ عن المكلّفين»(٥).

ذاك أن هذه القاعدة معلّلة بعلّتين:

الأولى: الخوف من الانقطاع وعدم الاستمرار للعمل، أو صدور الفعل عن غير طيب وضجرٍ وملل وكراهية للتّكليف، وما يشتمله ذلك الخوف من إدخال ما يؤذي الجسد، أو العقل، أو المال.

والنّاس في هذا الأمر على ضربين: «ضربٌ يحصل له بسبب إدخال نفسه في العمل تلك المشقة الزائدة على المعتاد؛ فتؤثر، أو تحدث له ضجراً، وملالاً، وقعوداً عن النشاط إلى ذلك العمل، كما

(١) الحديث: اخرجه البخاري ٣٩، والنسائي ١٢١/٨-١٢٨، ونص الحديث ((إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والرواح، وشيء من الدلجة)).

(٢) الحديث: أخرجه البخاري ٢٣٠/٤، ومسلم ٨٠/٧.

(٣) الحديث أخرجه أحمد ١٣٠/٣، والبخاري، ٢٧/١، وفي الأدب المفرد ٤٧٣، ومسلم، ١٤١/٥.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

(٥) ينظر : المغني، لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي (ت٦٢٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة هجر، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ١٢٥/٣، ١٢٦.

هو الغالب في المكلفين ؛ فمثل هذا لا ينبغي أن يرتكب من الأعمال ما فيه ذلك، بل يترخّص فيه بحسب ما شرع له في الترخّص، إن كان مما لا يجوز تركه أو يتركه، إن كان مما له تركه، وهو مقتضى التعليل؛ ودليله قوله ﷺ: ((لا يقضي القاضي بين اثنين، وهو غضبان))(١)، وقوله: ((إنّ لنفسك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقّاً، وهو الذي أشار به ﷺ على عبد الله بن عمرو بن العاص، حيث بَلَغه انه يسرد الصّوم وقد قال بعد الكِبر: ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ(٢).

وضربٌ شأنه أن لا يدخل عليه به ذلك الملل، ولا الكسل؛ لوازعٍ هو أَشد من المشقة، أو حادٌّ يسهل به الصعب، أو في العمل من المحبة، ولما حصل له في هذه اللّذة؛ حتّى خَفّ عليه ما ثقل على غيره، وصارت تلك المشقة في حقّه غير مشقة، بل يزيده كثرة العمل وكثرة العناء فيه نوراً، وراحةً، أو يحفظ عن تأثير ذلك المشوِّش في العمل بالنّسبة إليه أو لغيره؛ كما جاء في الحديث: «حُبِّب إليَّ مِنْ دنياكم ثلاثٌ، قال: وجُعِلت قُرّة عيني في الصلاة))(٣) وقال ﷺ لما قام حتى تورّمت قدماه: ((أفلا أكون عبداً شكوراً))(٤).

وأَما الثانية: الخوف من التقصير إذا ازدحمت عليه الوظائف مع ما كُلِّّف به من طاعات وعبادات هي حقٌّ لله على العبد، حتى إذا شغل نفسه بعمل أضطره إلى قطع غيره، لا سيما حقوق الغير، إذ دخوله في عمل جديد يجعله يقصّر في غيره وفيه أيضاً، فيكون ملوماً غير معذور، إذ المطلوب القيام بالكلّ دون الأخلال بأي حق من الحقوق التي يُسأل عنها، حق النفس، وحق الأهل، وقبل هذا وذاك حق الله عزّ وجلّ.

المطلب الثاني: الاعتدالية والوسطية في البحث العلمي:

فالشعور بالمسؤولية ليس إفراطاً وتطرفاً ذاك أن الشعور بها لا يعني التّنطع والتّكلف والمبالغة التي يكون معها تجاوز الحدّ الذي يصلح معه حال الفرد والمجتمع.

كما أن ذلك لا يعني اللامبالاة وترك الأسباب والاعتماد على حصول خوارق العادات ومنهجية «البرَكة».

---

(١) الحديث: أخرجه مسلم، ١٧٧، والبيهقي، ١٠/١٠٥.

(٢) الحديث: أخرجه أحمد، ٢/١٨٨، والبخاري ٣/٥١، ٧/٤٠، ومسلم، ٣/١٦٢-١٦٣.

(٣) الحديث: أخرجه أحمد، ٣/١٢٨، والنسائي: ٧/٦١.

(٤) الحديث: أخرجه الحميدي، ٧٥٩، وأحمد، ٤/٢٥١، ومسلم، ٨/١٤١.

فأمّا الطرف الأول (الإفراط) فننطلق فيه من قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾(١).

ومعنى الآية أن الله تبارك وتعالى قد عفا عن أشياء وترك فرضها أو تفصيلها ليكون في الأجمال ثمة سَعة ورحمة، ثم يضرب الله لنا مثلاً ببني إسرائيل فيمن كان قبلنا، (إذ كانوا يشدّدون على أنفسهم بالسؤال عن التكاليف والأحكام، فلما كُتبت عليهم كفروا بها ولو سكتوا عنها وأخذوا الأمور باليسر الذي شاءه الله لعباده ما شُدد عليهم، وما احتملوا التّقصير والكفران)(٢).

وقد كان في قصة البقرة التي أمروا بذبحها خير مثال وتبيين فلو ذبحوا أيّة بقرة لأجزأتهم ولكنّهم شدّدوا فشدّد الله عليهم وقد جاء في الحديث الصحيح، عن النبي ﷺ أنه قال: ((ذروني ما تركتكم. فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمرٍ فائتمروا ما استطعتم))(٣).

وقال ﷺ: ((إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيِّعوها وحدّ حدوداً فلا تعتدوها وحرّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم- غير نسيان- فلا تسألوا عنها))(٤).

وبناء على ذلك، نقول ليس من باب الشّعور بالمسؤولية أن يصل حال العبد إلى هذا المستوى المقيت، فزيادة الشيء عن الحدّ المعقول والمقبول تأتي بنتائج سلبية.

فليس التشديد أو التّنطع أو الوسوسة من قبيل الشعور المحمود بالمسؤولية ذاك أن الشّرع الحنيف إنّما جاء رحمة وكرماً من الله عزّ وجلّ وأنّ ما بُلغّ به الأنبياء والرّسل عليهم الصلاة والسلام من الوحي، إنما مقصوده أن يسعد هذا الإنسان في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى**﴾(٥).

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٠١.

(٢) ينظر: تفسير الظلال، ٩٨٦/٢.

(٣) الحديث: أخرجه أحمد ٣١٣/٢، ومسلم ٩١/٧.

(٤) الحديث: أخرجه الحاكم في مستدركه، ١٢٩/٤، برقم (٧١١٤). عن أبي ثعلبة الخشني t والهيثمي، علي بن أبي بكر، في مجمع الزوائد، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٧١/١. عن أبي الدرداء رضي الله عنه، والبيهقي، في السنن الكبرى، مكتبة دار الباز مكة المكرّمة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، ١٢/١٠. واللفظ له.

(٥) سورة طه: من الآية ١٢٣.

بل إن العبد الذي يبالغ ويكثر السؤال حتى يكون سؤاله سبباً في تحريم ما كان مسكوتاً عنه رحمةً ولطفاً من الله، إنما يكون في عداد المجرمين.

قال عليه الصلاة والسلام: ((إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً، من سأل عن شيء لم يحرّم على المسلمين فحرّم عليهم من أجل مسألته))(١).

كما أن سلوك مثل هذا الطريق، يزيد على العبد من طوله و كثرة عثراته فيصل بذا إلى مرحلة الترك للعمل والأمرِ الذي قد زاد بسؤاله وتنطّعه شدةً وعسراً ومشقةً فلا طاقة للعبد على تحمله أو الاستمرار معها على المسير، والمواصلة. لذا قال تعالى عن أولئك الذين كانوا يسألون أنبياءهم ويكثرون مسألتهم، بأنه لما كتب عليهم ما سألوا كفروا به ولم يعملوه. قال تعالى: ﴿**قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَافِرِينَ**﴾(٢). ويقول جلّ جلاله عن أصحاب البقرة التي أمروا بذبحها فتنطّعوا: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾(٣) (لغلاء ثمنها ولندرة أوصافها والقيود التي كانت بسبب مسألتهم، ولتطويلهم وكثرة مراجعاتهم)(٤). وثمة اعتراض أجاب عليه الإمام القرطبي في المسألة الثامنة وهو يذكر ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَافِرِينَ**﴾(٥). فيقول رحمه الله: ((إن قائل: ما ذكرتم من كراهية السؤال والنهي عنه يعارضه قوله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾(٦).

فالجواب؛ أن هذا الذي أَمر الله به عباده هو ما تقرّر وثبت وجوبه مما يجب العمل به، والذي جاء فيه النهي هو ما لم يتعبد الله عباده به، ولم يذكره في كتابه، والله أعلم))(٧). كما ذكر ذلك الجواب الأمام الشوكاني في تفسيره فقال: ((ولا بدّ من تقييد النّهي في هذه الآية بما لا تدعو إليه حاجة كما قدمنا، لأنّ الأمر الذي تدعو الحاجة إليه في أمور الدّين والدّنيا قد أذِن الله بالسؤال عنه، فقال: ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾(٨) وقال ﷺ: «قاتلهم الله ألا سألوا فإنما

---

(١) الحديث: أخرجه مسلم ١٨٣١/٤.

(٢) سورة المائدة: من الآية ١٠٢.

(٣) سورة البقرة: من الآية ٧١.

(٤) ينظر: تفسير الشوكاني، الفتح القدير ١٢٥/١، وحاشية القوني على تفسير البيضاوي ٤٠٦/٣.

(٥) سورة المائدة: من الآية ١٠٢.

(٦) سورة النحل: من الآية ٤٣. وسورة الأنبياء : من الآية ٧.

(٧) أحكام القرآن الكريم ١١/ ٢٥٨، والآية في سورتي، النحل: ٤٣، والأنبياء: ٧.

(٨) سورة النحل: من الآية ٤٣. وسورة الأنبياء: من الآية ٧.

شفاء العي السؤال»))[١].

المطلب الثالث: إمكان العمل فيما يكتب في البحث العلمي.

فليس من المسؤولية في شيء أن تكلِّف بالنقائض والأضداد أو المحال والخيال وإنما ما يكون في الوسع والطّاقة ذاك أن الالزام في المسؤولية مشروط بكونه يسيراً على الطبيعة الإنسانية وبمعنى آخر أن يكون خاضعاً لإرادة الإنسان[٢].

قال تعالى: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**...﴾[٣].

وسبب نزول هذه الآية : أن الصّحابة رضوان الله عليهم اعتقدوا بادئ الأمر بأنهم مؤاخذون على كل شيء لقوله جل وعلا: ﴿**وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[٤]. فعن عليّ رضي الله عنه أنه قال، لما نزلت الآية : أحزنتنا قال: قُلنا يُحدِّث أجدُنا نفسه فيحاسب به لا ندري ما يغفر منه ولا ما لاُ يغفَر، فنزلت الآية بعدها فنسختها: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**...﴾[٥].

فظنوا أن كلّ ما يخطر بالقلب مشمول بها، وبالتالي فإن العزائم والأفكار والرّغبات، أو الهواجس، بل وحتى التخيّلات كلّ ذلك مؤاخذون عليه فكان في الأمر من الشّدة والحرج ما كان وقد ورد أنهم أتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الرُّكب وقالوا : يا رسول الله كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصوم والجهاد، والصّدقة، وقد أنزل الله هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله ﷺ: ((أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم: سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا: «سمعنا واطعنا» غفرانك ربنا وإليك المصير)) حتى نزلت الآية التي بعدها لتبين لهم أنّ كلّ ما هو خارج عن طاقة الإنسان وسعته في الفعل أو الترك هو خارج عن نطاق التكليف المأمور به[٦]، وكذا أمر الحبّ والبغض والخوف والغضب، فإنها لا إرادية فلا تكون مناط تكليف ولكنّ دواعيها مما

---

(١) الحديث: أخرجه الحاكم في مستدركه ٢٨٥/١، برقم (٦٣٠)، وفي سنن الدارمي ٢١٠/١، برقم (٧٥٢)، وينظر: فتح القدير، ١٢٦/١.

(٢) دستور الأخلاق، ص٨٧.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٤.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٦) ينظر: تفسير القرطبي، ٣/ ٤٢٧.

يُسأل عنه العبد.

فإن أمر الحب ليس إرادياً وأعلى مثل في هذا محبة الله تعالى ،فإنها حالة عاطفية وكذا محبة رسوله ﷺ، وهذا أمر ليس إرادياً يمكن أن يُكتسب بأسباب أرادية كالتّفكر والتّأمل في صفات الله عزّ وجل وسعة رحمته وصبره على خلقه ستره وعفوه وكرمه العظيم، بهذا ستتجهُ عاطفة الإنسان نحو فطرته وما جُبل عليه من حبّ من أحسن إليه، وقد ورد في الأثر قوله ﷺ: ((أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة))[١] وهنا تجد أن الأمر بحبّ الله أصبح في حيّز المقدور، وداخل في الأرادة بعدما يتفكّر الإنسان بأَن مَن يغذوه يربيه وينعم عليه هو الله جلّ جلاله.

وكذا محبة النّبي ﷺ وقوله: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من نفسه ولده ووالده والنّاس أجمعين))[٢] وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله: يا رسول الله لأنت أحبّ إلي من أهلي وولدي والنّاس أجمعين، إلاّ من نفسي، ثمّ ذهب متأمّلاً فعاد مِقرّاً معترفاً يشهدِ الرسولَ ﷺ بأَنّه أحبّ إليه من نفسه.

وكذا الغضب في قوله ﷺ: ((لا تغضب))[٣] فإن الأمر متوجه إلى آثار تلك العاطفة وليس إلى أسبابها... اي أن وقعت في هذا الحال، فاياك أن تفعل فيه ما أنت محاسب مسئول عنه.

أما قضية التكليف بما لا يطاق واختلاف أهل الكلام فيها فليس محلها ههنا.

المطلب الرابع: اليسر العملي في البحث العلمي

«أن يكون هذا النشاط ميسّراً في واقع الحياة المحسوسة، أي يمكن ممارسته، وغير استبدادي»[٤]. ومعنى ذلك أن العبد ليس مسؤولاً عمّا إن فعله أدى به إلى مشقة أو مهلكة أو عمّا إن تركه كان في الأمر مشقة وعنت يصعب على العادة الإنسانية والطّاقة البشرية تقبلها، وإن كانت في حدود طاقته، لكن مع ملازمة العنت والمشقة المانعة لديمومة واستمرار العمل.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي، (٣٧٨٩).

(٢) الحديث: أخرجه أحمد، ١٧٧/٣ و٢٧٥، ومسلم، وابن ماجة، (٦٧)، والبخاري، (١٥).

(٣) الحديث: أخرجه البخاري، ٢٢٦٧/٥، صحيح بن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، بيروت، ٥٣١/١.

(٤) دستور الأخلاق، ص ٨٧

يقول تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ**﴾(١)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾(٢)، ويقول تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفا**﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾(٤)، فكلّ ما في هذا الدّين من تشريعات مؤطّرة بهذه الوصف الرّحيم وهذا اليسر الكبير.

وفي القرآن الكريم مظاهر عِدة على ذلك منها قوله تعالى: ﴿**فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**﴾(٥).

وبداية السورة تتكلم عن منهج تعبّدي أُمِر به النبي ﷺ، من قيام الليل وترتيل القرآن: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ* قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾(٦)، وقد كان بعض الرّجال من صحابته رضوان الله عليهم يحاولون فعل ما يفعله النبي ﷺ، فجاءت الآية الكريمة توجّههم نحو السبيل الأقوم وتلفت أنظارهم إلى أنهم عرضة للمرض والسّفر وغير ذلك مما يصعب الالتزام بالمنهج التعبدي الذي أمر به النبي ﷺ، فجاء بما يناسب الطاقات وتستسيغه العقول والقابليات في كلّ عصر ومصر وفي كل حال وظرف بأن يقرؤوا من القرآن ما يناسب حالهم وظرفهم، ويعينهم على الاستمرارية والديمومة في تلك الطّاعات والعبادات، بل إن النبي ﷺ نصح الأمة وشدّد على عدم الإفراط في جانبٍ على حساب آخر، وأنّ ذلك ليس من الدّين والهدي الحنيف، عندما سمع بنفرٍ من المسلمين أرادوا وضع منهج تعبدي لهم ليس فيه مراعاة لبشريتهم وما عليها من ضعف، إذ قالوا نصوم فلا نفطر ونقوم فلا ننام ونعتزل النساء، فأكد المصطفى ﷺ بأن الشعور بالمسؤولية والقيام بها حقّ قيامها إنما يكون بخلاف ذلك أن يصوم العبد ويفطر وأن يقوم وينام وإن ينكح النساء، وأنّ هذا هو التعامل الصحيح والأمثل مع المسؤولية وحسن أداءها فعن أنس رضي الله عنه: ((أنّ النبي ﷺ كان يُصلّي ذات ليلةٍ في حجرته، فجاء أُناسٌ فصلوا بصلاته، فخفّف فدخل البيت ثم خرج، فعاد مراراً، كلُّ ذلك يصلي، فلمّا أصبح قالوا: يا رسول الله صلّيت ونحن نحبُّ أن تمدّ في صلاتك، قال: قد علمت بمكانكم وعمداً فعلتُ ذلك))(٧).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٢) سورة الحج: الآية ٧٨.

(٣) سورة النساء: الآية ٢٨.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٥) سورة المزمل: الآية ٢٠.

(٦) سورة المزمل: الآية ١-٢.

(٧) الحديث : أخرجه أحمد، ١٠٣/٣، وصحيح ابن خزيمة، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري (ت ٣١١هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الاعظمي، المكتب الإسلامي ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م، بيروت- لبنان، ١٦٢٧.

وبناءً على ذلك فان الواجبات الشّرعية والمسؤوليات التي على عاتق العبد لم تغفل طبيعة هذا المخلوق والحال التي يمكن أن يكون عليه، أو الظرف الذي يشق عليه القيام بواجبه ومسؤولياته، لاختلاف الحال أو الظرف أو الزّمان والمكان.

فجاءت الشّريعة مراعية لمقتضيات ذلك الظرف بالتّغير، أو التّخفيف، أو التأجيل أو الإلغاء، ومثال ذلك.

* قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ**﴾(١)، ففي الآية الكريمة مراعاة لكلّ تلك الأعذار والعوائق وإعفاء أصحابها من واجب الدّفاع والجهاد في سبيل الله.

* قوله تعالى: ﴿**فمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾(٢)، وهنا يسمح النّص للمسافر الذي لا يجد شيئا مما أحلّه الله عليه، أن يأكل مما حرّم عليه، وأن يحافظ على نفسه من الهلاك جوعاً أو عطشاً.

* قوله تعالى: ﴿**وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾k(٣) إن إنمنشايبنشيس، فقد أرجى مَنْ له عذر وظرف خاص يجعلُ من العبادة، أو القيام بالواجب فيه مشقةٌ وحرجٌ بان يؤدي ما عليه في وقت آخر أكثر ملائمة، وأفضل حالاً، ليصدر عمله عن طيب نفس وبشكل متكامل.

المطلب الخامس: التحديد والتدرج والتجديد في البحث العلمي.

وهذا شرط ثالث، هو مكمّل لما سبق متعلّق بهما ومعناه، أن يكون في المأمورات والمنهيات التي تقع ضمن دائرة المسؤولية، حداً أدنى لا يمكن قبول العمل إلاّ به، على أن لهذا الأمر قابلية الزّيادة على ذلك الحدّ وضمن قدرات العبد والطّاقة البشرية ليبلغ به أعلى الدّرجات وأرفع الكمالات، المقبولة عند الشّارع الحكيم.

كما أَن هذه الزّيادة لها حدٌّ يعصمها من الوقوع في الإفراط الذي يُخرِج العمل عن دائرة المقبول شرعاً وعقلاً وعرفاً وذوقاً، لذا كان معنى هذا الشرط في المسؤولية، هو كون ما يُكَلّف به العبد وما يُؤمر به واقعٌ بين حدودٍ، بين كلّ حدٍّ وما يقابله ثمة درجات، يتفاوت بها العباد من حيث قدراتهم، وما خصّ الله تعالى كلّ عبدٍ منهم مِن نعم تختلف كَمَّاً ونوعاً عن غيره.

(١) سورة الفتح: الآية ١٧.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٣.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

وهذه الحدود هي بين الرُّخصة والعزيمة، والإفراط والتفريط، والحلال والحرام فهناك حدٌّ معلوم للأخذ بالرُّخصة دون النزول إلى درجة التفريط وحدٌّ معلوم للعزيمة دون الوصول إلى الإفراط والتكلّف والتنطع، فقد أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال وأحيل الصيام ثلاثة أحوال وكذا في الكفارات.

أمّا عبادة الصّيام حالة السّفر، وقوله تعالى: ﴿**وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[١] فليس في الصّيام حالة السفر مع القوة والقدرة والسّلم من تنطّع وإفراط ما دام الأمر في مقدور العبد وطاقته.

وكذا في مجال التّعامل والاجتماعيات، مثاله قوله تعالى: ﴿**وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[٢].

وذلك في حال الخصام والانفصال بين الزّوجين وبقاء بعض المتعلقّات المادية المستحقة، فهنا يأتي التوجيه والتحديد بالعفو، كما يمكن العفو عنه إكراماً لما كان بين الزّوجين من عِشرة وخلوة وإفضاء، وليس في ذلك العفو إفراط في تضييع الحقوق ولا تفريط في الحفاظ عليها.

وقوله تعالى: ﴿**وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٧.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٠.

(٤) سورة الشورى: الآية ٤٣.

المبحث الثالث
ثمار وظيفة البحث العلمي وأثرها في نهضة الأمة

إن العلماء قد تفاوتت مروياتهم قلة وكثرة، فمنهم المكثر، ومنهم المقل، ومنهم المتوسط من حيث عدد مرويات كل منهم. ونجد بعضهم لم يرو شيئاً. ولذلك أسباب خاصة تعرف من ترجمة كل صحابي على حدة، وثمة أسباب عامة يمكن إجمالها فيما يأتي:

اختلاف الصحابة من حيث طول صحبتهم، أو قلتها. مما أدى إلى تفاوتهم في مقدار ما تحملوه عن النبي ﷺ، ومن البديهي أن يكثر تحمل من طالت صحبته، وأن يقل تحمل من قصرت ملازمته، فبلغ كل منهم ما تحمله، متى دعت الحاجة لتبليغ ما عنده.

تباين الصحابة من حيث كثرة أو قلة حضورهم مجالسه ﷺ العلمية. فمن كان يحضر أكثر مجالسه، ثم أحتيج إلى علمه فيما بعد، كثرت مروياته، كأبي هريرة، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وغيرهم من المكثرين من رواية السنة.

ومن كان حضوره قليلاً قلت مروياته، لإنشغال بعضهم بأمور حياتهم المعاشية، من زراعة، ورعي، وتجارة، أو غير ذلك مما تستلزمه حياتهم الدنيوية، مما أدى إلى إنصرافهم عن حضور كثير من مجالسه، لقضاء بعض حوائجهم.

تفاوتهم من حيث قوة حافظتهم أو ضعفها، فهم كسائر البشر ليسوا متساويين في درجات الذكاء، والقدرة على الفهم والحفظ، لذا تفاوت الصحابة في مقدار حفظ كل منهم للحديث الشريف. وأن كانوا على الجملة أقدر ممن أتى بعدهم من حيث المقدرة على حفظ المرويات، لأن جلهم عرب اقحاح، وهو مطبوعون على قوة الحافظة. فمن قويت حافظته منهم حفظ أكثر ممن كانت ذاكرته ليست قوية.

قال مسروق: (جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالأخاذ، فالأخاذ يروى الرجل، والأخاذ يروى الرجلين، والأخاذ يروى المائة، والأخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم)[1].

إنهم لم يكونوا سواء من حيث معرفتهم بالكتابة، فكان بعضهم يحسن الكتابة وهم قلة كعبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) الذي أذن له النبي ﷺ بتدوين ما يسمعه من الحديث

(١) طبقات ابن سعد: ق ٢: ١٠٤/٢.

الشريف مما أدى ذلك إلى إكثاره من الحديث، ثم روايته من بعد.

وأجمال ثمرة وظيفة البحث العلمي في نهضة الأمة فيما يأتي:

١- المنهج العقدي الصحيح ولد استقرارا فكريا من خلال ما صدر من بحث علمي في كافة المواضيع.

٢- المنهج الفقهي ولد منظومة تعاملية تنظيمية بين الناس بكافة مذاهبه وما صدر منها من بحث علمي.

٣- المنهج النقلي حافظ على الثوابت من التحريف والتزوير والتغير وهذا واضح بالمحافظة على الكتاب والسنة.

٤- المنهج الاخلاقي ولد منظومة أساسها الاحترام والخوف من الله الله تعالى مما يولد استقرارا معيشيا بين الناس وهذا ما صدر من خلال البحث العلمي ووظيفته في نهضة الأمة.

الخاتمة

الاستنتاج والتوصيات:

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد:

لابد لكل دراسة خاتمة يذكر فيها الباحث أهم الاستنتاجات التي توصل إليها الباحث وماهي التوصيات والمقترحات التي يقدمها الباحث للقائمين على مثل هذه الدراسات والعاملين في هذا المجال. وسنذكر النتائج والتوصيات والمقترحات لهذه الدراسة المتواضعة. وهي كما يأتي:

أولاً: النتائج:

بعد هذه الدراسة المتواضعة لموضوع وظيفة البحث العلمي وأثره في نهضة الأمة، نأمل من الله سبحانه وتعالى أن نوفق في هذه الدراسة ونلخص أهم ما توصلنا إليه من النتائج:

١. قمنا ببيان معنى البحث العلمي ووظيفته وبيان لوازم ومسؤولية الباحث.

٢. كما بينا أن النبي ﷺ قد استفاد من الوحي في تعلم كثير من الوسائل التي كانت سببا في البناء الحضاري المعرفي الذي شيده النبي ﷺ.

٣. كما بينا أيضاً أن النبي ﷺ قبل أن يبدأ بتعليم الصحابة (رضي الله عنهم) شجعهم على التعلم وستماع سنته ﷺ.

٤. بعد أن عرف الصحابة (رضي الله عنهم) فضل العلم والتعلم بدأ النبي ﷺ يعلم الصحابة (رضي الله عنهم) العلم باستخدامه ﷺ الوسائل التعليمية حتى يترسخ العلم في أذهان الصحابة ويكون لهم دور في نقل العلم وحفضه وأثرها في البناء الحضاري المعرفي العلمي.

٥. بعد أن تعلم الصحابة (رضي الله عنهم) العلم من المعلم وهو النبي ﷺ وكيفية أستخدام الوسائل من المعلم تفاوت حفظ الصحابة لسنة بين مكثر ومقل وهذه هي ثمار الوسائل التي استخدمها الرسول ﷺ واثرها في البناء الحضاري المعرفي العلمي.

٦. إذا كان الرسول ﷺ قد استخدم الوسائل التعليمية في البناء الحضاري المعرفي العلمي، فماذا يعني ذلك بالنسبة للمربين المسلمين في الوقت الحاضر؟

والجواب: أن ذلك الاستخدام من قبل الرسول المعلم ﷺ، يعني مشروعية استخدام تلك

الوسائل وما في معناها في تدريس الدين وغيره من المواد الدراسية، لما في استخدام الوسائل التعليمية من مزايا وفوائد تساعد على نجاح المربي في أداء رسالته التعليمية التربوية، ولأن الله عز وجل قد جعل رسوله الكريم أسوة حسنة للمسلمين أجمعين، وهذه من فوائد استخدام الوسائل التعليمية التي استخدمها النبي ﷺ قي تعليم أصحابه. فحري بالمربين المسلمين التأسي بهديه في تعليم الناس أمور دينهم ودنياهم، والاستخدام الأمثل لوسائل التعليم التي رأينا كيف أن الرسول الكريم ﷺ مارسها في مواقف تعليمية كثيرة ومتنوعة بصورة لا تدع مجالاً للشك في أنه عمل مقصود في هديه في تعليم أصحابه (رضي الله عنهم)، لا سيما إذا تذكرنا أن ما أوردناه في هذه الدراسة إن هو إلا غيض من فيض، وقليل من كثير، وكتب السنة المطهرة تزخر بالكثير من ذلك، ولم يكن القصد الاستقصاء، بل الإتيان بنماذج وأمثلة ليس إلا.

وإذا كان الرسول المعلم ﷺ قد استخدم وسائل تعليمية في تعليم الكبار، فإن الصغار أشد حاجة إليها، لأنه يصعب عليهم إدراك المفهومات المجردة بدون استخدام وسائل تساعدهم على الفهم والإدراك.

- ان المسؤولية للباحث العلمي هي مسؤولية عظيمة وكبيرة لا يمكن للأفراد القيام بحقها بمعزل عن الجماعات والحكومات، وبالتالي ما توقف عليه الشيء كان منه، فالكل مأمور ولا يستثنى من إقامة هذه المسؤولية أحد والخطيب أول من تناط به هذه المسؤولية.

- الباحث العلمي مسؤول أمام الله تعالى وعباده عن كل ما يصدر عنه من فعل أو قول، فقد خصّ وكرّم بالأهلية، وبالحرية والإرادة التي تؤهله وتجعله مسؤولاً عما قد يفعله أو يتركه.

- لوازم وضوابط الباحث العلمي محدودة مؤطّرة بالمشروع والممكن، موسومة بالواقعية والمثالية واليسر العملي مما يعطي الفعل او الترك الديمومة والاستمرارية، وهي متصفة بالتدرج والمرحلية وبالتحديد الذي يعين على صدور الفعل عن صدق وطيب وإخلاص، فالطاعة مشروطة بالاستطاعة.

- ان طرق هذا العنوان والبحث فيه هو محاولة للفت الأنظار إلى ذلك الجزء المفقود البالغ الأهمية من الأخلاقيات الأساسية لبناء المجتمعات وتحصين الحضارات وإسعاد الإنسانية وإبعادها عن المخاوف والآلام لما فيه من قوة وقدرة على التقدم والتطور والاكتفاء او الاستغناء عن الآخرين وتسليط الضوء على عمل الباحث وبحثه وظيفته في نهضة الأمة.

وأخيرًا، فإن هذه الدراسة، ربما اعتبرت إسهامًا متواضعًا في الجهود الرامية إلى التأصيل الإسلامي لوظيفة البحث العلمي وأثره نهضة الامة من خلال البناء الحضاري المعرفي العلمي الذي بناه النبي ﷺ وتناقلته الأجيال من بعده في الأمة والكون.

ثانيًا: التوصيات:

في ضوء النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة، يمكن إيراد بعض التوصيات والمقترحات التي نرجو أن تكون نافعة.

فمن التوصيات التي نرى أهميتها:

- أن يطلع المدرسون عمومًا ومدرسو مادة التربية الإسلامية خصوصًا على هذه الدراسة، للوقوف على بعض ما يخص البحث العلمي ووظيفته وأثره في البناء الحضاري المعرفي.

- أن تُعقد دورات تدريبية للباحثين، يتعلمون من خلالها على البحوث والدراسات التي تتناول وظيفة البحث العلمي ودوره، ويتدربون على إنتاج البحث العلمي وأثره في البناء الحضاري المعرفي.

- أن تعد برامج خاصة لإعداد وتدريب الباحثين مقررات عن وظيفة البحث العلمي من الجوانب النظرية والعملية، مع التركيز على الوسائل التي استخدمها الرسول ﷺ في تعليم أصحابه رضي الله عنهم.

- أن تعقد الجهات المختصة ندوات ومحاضرات لمدرسي التربية الإسلامية والباحثين عموما، يتم التركيز فيها على الآثار الإيجابية التي يحققها البحث العلمي.

- أن يتم التأكيد في مناهج التربية الإسلامية على أهمية البحث العلمي، واعتبارها جزءًا أساسيًا من المنهج ومن العملية التعليمية برمتها لا يسع المعلم والطالب الاستغناء عنها.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم:

١. **اختصار علوم الحديث:** لابن كثير، وقد طبع معه شرحه الباعث الحثيث: تأليف أحمد محمد شاكر، بمطبعة علي صبيح وأولاده، بمصر، ط٣.

٢. **تدريب الراوي شرح تقريب النواوي:** للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، من منشورات المكتبة العلمية، بيروت، ط٢، سنة ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

٣. **تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور:** دار الفكر، بيروت، ط١.

٤. **تفسير الطبري:** لابن جرير الطبري، دار الفكر بيروت، ط١.

٥. **تلقيح مفهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير:** للإمام عبد الرحمن بن الجوزي، المطبعة النموذجية، مكتبة الآداب، بالقاهرة، سنة ١٩٧٥م.

٦. **جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ:** تأليف الإمام مجد الدين ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الارناؤط، نشر وتوزيع مكتبة الحلواني، دار الغدير، سنة ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

٧. **الجامع الكبير:** للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، داغر الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٨. **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله:** للحافظ ابن عبد البر، المطبعة الأميرية، القاهرة.

٩. **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: للخطيب البغدادي وتحقيق:** محمود الطعان ومكتبة المعارف، بيروت، سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٠. **الجرح والتعديل:** للحافظ ابن أبي حاتم الرازي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، الهند، ط١، إعادة تصويره بالاوفسيت، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١. **جوامع السيرة وخمس رسائل أُخرى:** لابن حزم، تحقيق: د. إحسان عباس ود. ناصر الدين الأسدي، ومراجعة: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، بمصر.

١٢. **حاشية السندي على صحيح البخاري:** للإمام أبي الحسن السندي، طبعة دار الفكر، بيروت.

١٣. **الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية:** لأبي زهرة، مطبعة مصر،

ط١، سنة ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م.

١٤. دراسات في الوسائل التعليمية لصالح بن مبارك الدباسي: دار الكويت، سنة ١٩٩٦.

١٥. دلائل النبوة للبيهقي: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

١٦. ديوان عمر بن أبى ربيعة: دار صادر، بيروت.

١٧. الرسالة: للإمام الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، سنة ١٣٥٨هـ-١٩٤٠م.

١٨. السنة قبل التدوين: لمحمد عجاج الخطيب، دار الفكر، ط٢، سنة ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

١٩. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: للدكتور مصطفى السباعي، دار العروبة، القاهرة، ط١، سنة ١٣٨٠هـ-١٩٦١م.

٢٠. سنن ابن ماجة: للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقين دار الكتب العلمية- بيروت.

٢١. سنن أبي داود: للإمام أبي داود السجستاني، تحقيق: د. محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٢. سنن الدارقطني: للدارقطني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني، طبعة دار المحاسن، القاهرة، سنة ١٣٨٩هـ.

٢٣. السنن الكبرى: للإمام أحمد بن الحسين البيهقي، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهندن ط١، سنة ١٣٤٤هـ.

٢٤. سنن النسائي: بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، المطبعة المصرية بالأزهر.

٢٥. سنن النسائي: لأبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٩١م.

٢٦. شرح السنة للإمام البغوي: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٢٧. شرح صحيح مسلم: للإمام النووي، راجعه: الشيخ خليل الميس، دار القلم، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٨. شرف أصحاب الحديث: للخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور محمد سعيد خطيب اوغلي، مطبعة جامعة أنقرة، سنة ١٩٧١م.

٢٩. صحابة رسول الله ﷺ في الكتاب والسنة: تأليف عيادة أيوب الكبيسي، دار القلم،

دمشق، طذ١، سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

٣٠. **صحيح البخاري بشرح فتح الباري:** للإمام البخاري، تحقيق: عبد العزيز ابن بارز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٣١. **صحيح البخاري:** للإمام محمد إسماعيل البخاري، الطبعة السلفية، عند الإشارة إلى رقم الحديث، أما عند الإشارة إلى الجزء والصفحة طبعة الأميرية ببولاق، مصر.

٣٢. **صحيح مسلم:** للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، سنة ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م.

٣٣. **الطبقات الكبرى:** لمحمد بن سعد البصري، دار صادر ودار بيروت، بيروت، سنة ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.

٣٤. **عون المعبود شرح سنن أبي داود:** لأبي عبد الرحمن شرف الحق لصديقي، نشره: الحاج حسن إيراني، صاحب دار الكتاب العربي، بيروت.

٣٥. **فتح الباري في شرح صحيح البخاري:** للحافظ ابن حجر العسقلاني، بتصحيح: عبد العزيز بن باز، وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٣٧٨هـ- ١٩٥٩م.

٣٦. **فتح المغيث شرح الفية الحديث للعراقي:** تأليف شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي، القاهرة، ط٢، سنة ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

٣٧. **الفصل بين الملل والأهواء والنحل:** للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، مكتبة المثنى بغداد.

٣٨. **الكامل في ضعفاء الرجال:** لابن عدي، تحقيق: الحاج صبحي السامرائي، وطبع في مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد.

٣٩. **كتاب الشريعة:** للآجري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٤٠. **الكفاية في علم الرواية:** للخطيب البغدادي، تقديم: محمد الحافظ التيجاني، ومراجعة: عبد الحليم محمد عبد الحليم، وعبد الرحمن حسن محمود، مطبعة السعادة، مصر، ط١، سنة ١٩٧٢م.

٤١. **لسان العرب:** لابن منظور الافريقي، دار الفكر، بيروت.

٤٢. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:** للإمام الهيثمي، دار الكتاب، بيروت، سنة ١٩٦٧م.

٤٣. **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي:** للقاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي،

تحقيق: محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، ط٢، سنة ١٣٩١هـ-١٩٩٧م.

٤٤. **المستدرك على الصحيحين:** لأبي عبد الله الحاكم، الناشر: مكتبة ومطابع النصر الحديث، الرياض، وفي ذيله تلخيص المستدرك، للحافظ شمس الدين أبي عبد الله الذهبي.

٤٥. **المستدرك على الصحيحين:** للحاكم النيسابوري، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض.

٤٦. **مسند الحميدي:** تضيف الحافظ أبي عبد الله بن الزبير الحميدي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مطبعة عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبي، القاهرة، ١٣٨٢هـ.

٤٧. **المسند:** للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، سنة ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

٤٨. **مشكل الآثار للإمام الطحاوي:** تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.

٤٩. **المصنف لابن أبي شيبة:** دار الفكر، بيروت.

٥٠. **المصنف:** للإمام عبد الرزاق الصنعاني، دار الفكر، بيروت، ط١.

٥١. **مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح:** تحقيق: د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، مطبعة دار الكتب، سنة ١٩٧٤م.

٥٢. **مقدمة التفسير:** لابن تيمية، دار الكتب العلمية.

٥٣. **النهاية في غريب الحديث والأثر:** لابن الاثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي، ط٢، سنة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٥٤. **الوجيز في علوم الحديث ونصوصه:** لمحمد عجاج الخطيب، طبعة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرعاية، الجزائر، سنة ١٩٨٩م.

٥٥. **وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم:** تأليف حسين حمدي الطوبجي، الكويت، دار القلم، سنة ١٩٥٧م.

٥٦. **الوسائل التعليمية تقنيات التعليم:** اعداد إبراهيم العبيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٥٧. **الوسيط في علوم ومصطلح الحديث:** للدكتور الشيخ محمد بن محمود أبو شهبة، ط١، مطبعة عالم المعرفة، جدة، سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.